

واقع الأئمة في فرنسا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

أيها الضيوف والأئمة الكرام!

فضيلة الضيف الكبير، الشيخ الدكتور فريد الأنصاري.

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله . وأسأل الله تعالى أن يتوج أعمالنا بالإخلاص، ويحملها بالصواب، ويتقبلها بقبول حسن! وأشكر الإخوة في "تجمع مسلمي فرنسا"، و"رابطة الجمعيات الإسلامية بالشمال"، الذين أتاحوا لنا فرصة المشاركة والتواصل معكم في هذه المناسبة الغالية، وأتمنى لهم التوفيق والسداد في مسيرتهم! "ولو سافر رجل من اليمن إلى الشام، من أجل كلمة تدله على هدى، أو ترده عن ردى، ما كان سفره ضائعاً"، كما قال الإمام الشعي رحمه الله! فما بالك إذا كان سفره هذا، سيضمه بإخوانه في الرسالة والغاية، والعلم والإيمان، في مجلس يفوح عطره في الأرض، وينتشر ذكره في السماء! فأنعم وأعظم به من مجلس ينتهي إلى رب العالمين!

اللهم اجعلنا أهلاً لهذا الشرف! وأحب فينا دعوة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، القائل: "الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين!!"

ياربنا ويارب كل شيء ومليكه، أرشد الأئمة، ولا تكلمهم إلى أنفسهم طرفة عين! ويرحم الله عبداً قال آمين! وهكذا ينبغي أيها الحضور الكريم، أن نتجاوب دائماً مع كل الخطوات والمبادرات الطيبة المخلصة، للنهوض بواقع الإمام، والدفع به إلى الأمام. فليس طبيعياً، ولا شرعياً - والله - أن يتطور العالم كله من حولنا، وتبقى الإمامة في الغرب على ما هي عليه، راكدة راقدة، لا يحكمها نظام، ولا يربطها زمام. ليس معقولاً أبداً، أن يجتمع غيرنا من القساوسة والأخبار، اجتماعات دورية منتظمة؛ لتدارس قضاياهم، وتطوير مهاراتهم، وتنمية ذواتهم، ويبقى الأئمة المسلمون على ما هم عليه من ارتجال وعفوية، وانطواء وسلبية، وقعود وجمود، لا بد ياإخواننا من تحريك الماء الراكد، - كما يقال - وإحداث قفزة نوعية في هذا المجال.

الإمامة ياسادة! شأنها عظيم، ومقامها خطير!

المنبر والمحراب موضعاً قدمي النبي العظيم، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم! ومقام كهذا، ينبغي أن يؤخذ مأخذ الجد، وأن يحسب له ألف ألف حساب!

لقد رشحك لأمر لو فطنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل

وبداية البدايات في هذه السبيل - كما يبدو - هو تحقيق المناط، بلغة الأصوليين، أي دراسة واقع هذا الإمام، بكل تعقيداته وتفصيلاته، وفحصه فحصاً دقيقاً، لا يقل دقة عن الفحوصات الطبية والمخبرية.

الخطوة الأولى في الإصلاح والعلاج، أن يتعرف الإمام على ذاته أولاً، ويؤمن برسالته ثانياً، ثم يحيط بواقعه، زماناً ومكاناً، وحالاً ومآلاً. وحينئذ تبرز الحلول، وتزول العوائق، ويتضح المسار. وهذا بالطبع، يحتاج إلى

كفاءات عالية، وندوات متتالية، وجهود غير عادية. ولا يتأتى على أي حال، من كلام عام، وتحضير سريع، من شخص مثلي، لا يملك الأوقات، ولا الآليات؛ لتحقيق ذلك. ومع ذلك، فإنه لا بد من إثارة الموضوع على الأقل، ومشاركة إخواننا في هذه الندوة بالميسور. **والميسور لا يسقط بالمعسور**، كما يقول الفقهاء. وسأقدم في هذه العجالة، إشارات وملامح عامة، عن واقع الأئمة بفرنسا، بحكم الممارسة والمعاينة. والكل قابل للنقد والمناقشة، وأسأل الله تعالى أن يعيدنا من حظوظ النفس، وزلات اللسان. آمين!

وندخل الآن إلى المعمعة، ونصف هذا الواقع من خلال المحاور التالية:

1_ عدد الأئمة وأصنافهم في فرنسا

2 _ المستوى العلمي والتربوي للأئمة في فرنسا

3_ الوضع الاجتماعي للأئمة في فرنسا

4_ الوضع المادي للأئمة في فرنسا

أما عن عدد الأئمة في فرنسا: فيقدر بحوالي 1500 إمام، ما بين راتب، وخطيب، ومعلم للعربية، ومحفظ للقرآن، وواعظ، ومفت. ... وعموما، فإن كل من أمّ المصلين، أو خطب فيهم، أو درّس في مساجدهم، أو اعتنى بشؤون مرضاهم، وموتاهم، ومساجينهم، يعتبر في العرف الفرنسي إماما.

وفي تقرير منشور لوزارة الداخلية الفرنسية، فإن الأئمة في فرنسا، تتنوع جنسياتهم وأصولهم حسب الشكل التالي:

المغاربة: ويمثلون 40 في المائة.

الجزائريون: ويمثلون 24 في المائة.

التونسيون: ويمثلون 06 في المائة.

الأتراك: ويمثلون 15 في المائة.

الفرنسيون... ويمثلون 09 في المائة.

الأفارقة السود، والمشاركة ... 06 في المائة.

وحسب المصدر ذاته، فإن ثلث هذا العدد لا يتكلم لغة البلد (الفرنسية) ويحتاج إلى تأطير خاص، يساعده على معرفة الواقع الفرنسي.

وأما عن أصناف الأئمة: فهم خليط، أو- إن شئت- فسيفساء، من الطلبة المثقفين، والدكاترة المهاجرين، والعمال المتقاعدين، والقراء الوافدين، والأئمة المبعوثين، والدعاة المتفرغين، والشباب المتخرجين، أو الخارجين من المعاهد الدينية، والجامعات المختلفة. ومنهم الموظف، والمتفرغ الأجير، والمتفرغ المتطوع، ومنهم الإمام الذي قدمته الجماعة، واختارته لدينها وصلاتها، ومنهم من يؤم القوم وهم له كارهون! ومنهم الإمام العابد، ومنهم الإمام العايب -إن صح التعبير- الذي يعدد أياما ليقبض راتباً، ولا يعنيه أمر الناس في شيء، تقدموا أو تأخروا، ربحوا أم خسروا، تعلموا أو جهلوا، اجتمعوا أو تفرقوا. ومنهم - والحمد لله- الفقيه بحق، والعالم بامتياز، والمقرئ المحجاز، ومنهم -لا مؤاخذه- من أخفق في الحياة، فاحتسى بجناب الإمامة، وقفز إلى المنبر والحراب قائلاً: استنوا عباد الله! فهتف به هاتف الحال: **ومتى استويت أنت يا هذا مع الله؟** . -وما أبرئ نفسي!- نسأل الله السلامة والعافية! ولله در الإمام القاضي ابن العربي المعافري إذ يقول: **ولو لم يتقدم اليوم للإمامة إلا عدل، لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً** مدونة الفقه المالكي ج 1 / 423 ورحم الله القائل أيضاً:

ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب فممن يعظ العاصين بعد محمد

أما عن الوضع القانوني والإداري للأئمة في فرنسا: فرغم تحسن أحوال بعضهم في الأعوام الأخيرة، - وهذا أمر ملحوظ، لا يمكن إنكاره- فإنهم بشكل عام، يعيشون فراغاً قانونياً، وحالة قلق وترقب؛ من أجل الحصول على أوراق الإقامة والتجنس، والتجمع العائلي، والضمان الاجتماعي، وذلك في غياب هيئة رسمية، حقيقية، تمثلهم، وتعنى بشؤونهم، إلا أن هذا لم يمنع من تجمع الأئمة تحت إطار ما يسمى: **بالمجلس الفرنسي للأئمة**، وهو مجلس قديم، تم تجديده في مسجد "لوميرو" بباريس، بحضور وزير الداخلية، ورجال الثقافة والإعلام، وجمع كبير من الأئمة، ومسئولي المساجد. ولا ندري ماذا فعل الله بهذا المجلس بعد ذلك! - رغم عضويتنا، وانتسابنا إليه!-.

وهناك مجلس آخر للأئمة، يرأسه إمام بوردو، الأستاذ طارق أوبرو. ولم يعلم به هذا العبد، إلا من خلال بعض نشرات اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا.

أما الأتراك، فلا تسئل عن مساجدهم ومؤسستهم، من الناحية الجمالية والتنظيمية. أما البرامج والمناهج التربوية والعلمية، فلا علم لي بشيء منها. ولأئمتهم مجلس وطني، وآخر جهوي، ذو بناء محكم، ونظام مدهش، كما هي عادتهم -رحمهم الله- وربما قد تكون هناك مجالس وتجمعات أخرى للأئمة هنا وهناك... لا علم لي بها. ومع ذلك، فإن جميع هذه المجالس، على تعددها وتنوعها، وتفاوتها في القوة والضعف، والحجم والتنظيم، تظل في جملتها - مع الأسف الشديد- بعيدة عن تحقيق الهدف المطلوب، والرقى بالإمام إلى المستوى المرغوب.

وبإنشاء المجلس الرسمي للديانة الإسلامية في فرنسا، أصبح موضوع تأطير الأئمة، مطلباً أولياً، وهما شعبياً، وحكومياً. ولعل هذا المشروع قيد الدراسة، وسيرى النور عاجلاً، أو آجلاً،-إن شاء الله- بدعم مباشر، أو غير مباشر، من الإدارة الفرنسية. وستتم تسوية كل الملفات الإدارية للأئمة، حسب الوعود الرسمية، وتصريحات وزارة الداخلية، وهذا خبر مشهور، متداول. وإخواننا في المجلس الوطني للديانة الإسلامية، هم خير من يفيدنا في هذا الباب -لا شك-.

أما عن الوضع الاجتماعي للأئمة: فيتمثل في علاقتهم بالجمعيات المدبرة للمساجد، وعلاقتهم بالمسلمين عامة، ثم بالمجتمع الفرنسي.

أما عن علاقتهم بالجمعيات المدبرة للمساجد: فإن جل أو كل الجمعيات في فرنسا، كما تعلمون، نشأت تبعاً للانتماءات العرقية، أو السياسية، أو الفكرية، (مغاربة، جزائريون، تونسيون، أتراك، أفارقة، سلفيون، صوفيون، تبليغيون، أحباش، ...). وهذا يؤثر بلا شك على استقلالية الإمام. فإذا لم يكن الإمام من جنسية أو قبيلة أو تيار أعضاء الجمعية، فإنه مرفوض، أو لربما يقبل من باب الضرورة، أو الحاجة التي تنزل منزلة الضرورة، كما يقول الفقهاء، ثم يطوق بسلسلة من القيود، تكبله عن الحركة والمبادرة، وتجعله أشبه بالملوك والأسير،- بلا مبالغة- ورحم الله العلامة المغربي الدكتور الهلالي، الذي خاطب المصلين في بلجيكا قائلاً: **لقد قدمتم الإمام في المحراب، وأحرقتموه في كل شيء!** ولعلكم سمعتم بما يسمى بنظرية الحصان والعربة، وأيهما يجر الآخر؟ وهي تنطبق تماماً على هذا المثال. وفي المؤتمر الأخير للأئمة في باريس، لوحظ غياب كثير من الأئمة، بسبب قانون (**حظر التحول!**) المفروض عليهم من طرف بعض الجمعيات، في حين، كان الرأي العام الفرنسي، يتوقع حضوراً مكثفاً، ونجاحاً قوياً لهذا المؤتمر، وفي خضم المناقشات، فوجئ رجال الثقافة والإعلام، والسياسة والحكم؛ بأن السادة الأئمة، غارقون إلى الأذقان في همومهم الإدارية، والاجتماعية، وأن عقولهم لا تتسع لحل مشكلاتهم، فضلاً عن حل مشكلات الناس! وفي الختام خرج المؤتمر بفائدة واحدة هي: **أن الإمام الذي لا استقرار له ولا استقلال، لا تنتظر منه فائدة!**

وزاد المشكلة تعقيداً، والطين بلة، أن بعض الرجال الخيرين المخلصين في الجمعيات الإسلامية،-رغم سلامة نيتهم، وطهارة نفوسهم- ذوو ثقافة متواضعة، وآفاق محدودة- وربما مسدودة!- لا تسمح لهم بتسيير أنفسهم وذويهم، بله قيادة الأمة، وتوجيه الأئمة! وهذا أمر مقلق بلا شك، يعيق الإمام عن أداء مهمته العلمية والتربوية، ويجعله في وضع غير مريح، وكثيراً ما صاح بعضهم: أينك يانظر الأحباس، ويامندوب الأوقاف؟! بل أينك يا عمر، وأين الدرّة المباركة؟! - عفوا على هذه العفوية في التعبير!- فالمناسبة شرط - كما يقال- ونحن كما قدّمنا- في مناسبة المراجعة ونقد الذات. والنقد البناء يا أحبّابنا! لا يأتي إلا بخير، ولا يكون مرادفاً

للسبب، بأي حال من الأحوال! - كما يتوهم فريق من الناس- ورحم الله القائل: لا يستقيم الثوب إلا بوخز الإبر، ولا تزول الأوساخ إلا بالفرك والتخشين.

وحتى لا نعمم الأحكام، أو نرسم صورة قائمة للوضع، فإننا نشهد شهادة حق وصدق، و- **"ستكتب شهادتهم ويسألون"**- بأن كثيرا من رجال الجمعيات والمساجد في فرنسا وأوروبا عموما- يتمتعون بثقافة عالية، ووعي كبير، وذوق رفيع، في التعامل مع الأئمة والدعاة، -ماديا ومعنويا- وحسب رأينا المتواضع، فإن الشرط الأساس في قيادة الجمعيات والمساجد، هو الوعي العميق، مع الإخلاص لله، والإخلاص لله، ثم الإخلاص لله. وأما الثقافة، بمفهومها العام، فإن اليسير منها يكفي! -إن شاء الله- وأستحضر الآن هنا، قصصا وأمثلة رائعة، في حسن العلاقة بين الإمام والمأموم، رأيتها بعيني في مسجدي، ومحل إقامتي، من إخوتي وأحبي- بلا مجاملة- وحكاها لي شهود من الأئمة في أوروبا، -حبذا لو اتسع المجال لذكرها!- وقدما قال سادتنا وأساتدتنا المربون: لا يحفظ المراتب إلا أهل الأدب، ولا يعرف حق الرجال إلا الرجال!. فطوبى لمن أكرمه الله ببطانة صالحة، وكان للمتقين إماما! **(ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماما) آمين.**

أما عن علاقة الإمام بالمأمومين : فهي علاقة متأرجحة، لا تستقر على حال، والناس هنا كالعادة، ما بين مادح، وقادح، وناصح، وخبرهم الأخير. **(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون)** سورة الفرقان.

والعوام- كما علمتنا السنون، وكما قال غوستاف لوبون- **"يغيرون أفكارهم، كما يغيرون قمصانهم"** والحق، أن من درس نفسية الجماهير (العامة) وكان صادقا مع الله، واعيا بالرسالة والهدف؛ لا يفاجأ بشيء، ولا يصدم بشيء. فالشيء من معدنه وبيئته لا يستغرب، **"والمغرور من أغررتموه"**، كما قال عمر رضي الله عنه. وأهل الله وخاصته، - وأنتم منهم - إن شاء الله- قد قطعوا الإياس من الناس، وأنسوا برب الناس، ملك الناس! أهل الله وأولياؤه حقا- يا إخواننا- لا يلتفتون ألبته إلى مدح الناس وذمهم، وإقبالهم وإدبارهم، لأنهم يعلمون من يعاملون، ولمن يعملون، وإلى أين غدا سيصيرون؟. جعلنا الله منهم!. وحشرنا في زمركم! آمين!

وعلى العموم، فإن الإمام في فرنسا، وأوروبا عموما، يظل طيبا وحييبا، ما دام ساكتا ساكنا، يطلب (الخبرة) لأولاده، فإذا خرج عن العرف، وأدى ما عليه من واجب النصح والبيان - بالتي هي أحسن، أو أحسن- قال الناس فيه ما قال إمامنا مالك في الخمر، وتلك هي سنة الله (**يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا**) سورة هود.

ومهما كان فضل الإمام ووزنه العلمي، فإن النظرة التقليدية النمطية للفقهاء (الفقي) تبقى هي هي! وإن شئنا الدقة والصرامة، فهي نظرة أرباب العمل للأجراء! قولوا واحدا، -بلغة أهل الفقه- ولن تعدم في مساجد أوروبا من يقول لك أيها الإمام المحترم **"ألم نريك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين،)** إي والله! هذا واقع، ماله من دافع! وزاد الداء علة، والطنبور نغمة، أن المسلمين في فرنسا وأوروبا - إلا قليلا منهم- لا

يميزون بين إمام وإمام، وعالم ومتعلم. فالعالم عندهم من كور العمامة، وفسر المنامة، وأضحك العامة! وأما أهل العلم حقاً، فهم غرباء، غرباء، موسومون بالعجز، متهمون أحياناً بالنفاق، لأنهم ينظرون إلى عواقب الأمور، ومآلات الأفعال، ويلجمون العواطف بنظرات العقل وقواعد الشرع، وهذه دندنة لا يعرفها العوام، ولكن العاقبة للعلم وأهله، قريباً - إن شاء الله - مهما حاول من حاول تشييح الصحيفة، وقلب الموازين، ولا يصح في النهاية إلا الصحيح. ويتوب الله على من تاب .

ومما يعانيه الأئمة، - أو بعضهم على الأقل، - في فرنسا، ظهور تيارات ومذاهب فكرية جديدة في أوساط الشباب، تثير شغبا في المساجد، وتفسد ذات البين، بين الإمام والمأموم، وبالأخص، إذا كان هؤلاء الشباب، من قادة الرأي في الجمعية أو المسجد، نعم، هذه معادلة صعبة، وفتنة لا ندرى - والله - ما المخرج منها، في عصر الثورة المعلوماتية، والأفكار العابرة للقارات؟! وأياً كان الأمر، فإن الخير كله في الصبر والمصابرة، ومحاوره المخالفين بالحسن، وتجنب إثارتهم واستفزازهم في الخطب والدروس، قدر الإمكان، فالتشهير لا يزيدهم في الواقع، إلا شهرة وعناداً، وإصراراً وثباتاً، "ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه". كما قال المعلم الوالد المصطفى صلى الله عليه وسلم. وقد نهج ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج نهج المصابرة والمحاوره، - كما تعلمون - فرد الكثير منهم إلى الصواب. والموفق من وفقه الله **(ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)** سورة البقرة .

ومما يقاسيه الأئمة في هذا السياق أيضاً: ازدحام المشاكل، والمشاعل، والمشاعر، (نعم، هكذا ازدحام!)، بكل ما تحمل الكلمة من معنى) واضطلاعهم بأعباء، تنوء بالعصبة أولي القوة، دون تأهيل وإعداد، فيكون هذا على حساب صحتهم، وأولادهم، دون نتائج تلمس في الواقع، لأن الطلبات أكثر من الأوقات، أو الواجبات أكثر من الطاقات، وإنك لا تستطيع أن تضع البحر في قارورة، كما يقول المثل. وعلى سبيل المثال، فالإمام يقوم، أو بالأحرى، يطلب منه أن يقوم، بالإمامة، والخطابة، والترجمة، والعبادة، والجنابة، والتزويج، والصلح والتحكيم، والإقراء، والتحفيز، والإفتاء، والدعاء، والرقية، والوعظ، ومراقبة اللحم الحلال، وتمثيل المسجد في التظاهرات والمناسبة الرسمية. كل هذا مع المحافظة على المظهر والمخبر، ومراعاة الأذواق والأعراف المختلفة، والمتناقضة أحياناً، والويل للإمام إن زل أو أخطأ، أو توسع في المباح، أو ظهرت عليه نعمة من نعم الله على عباده، لماذا؟ لأن كثيراً من الناس ينظرون إلى الإمام في الغرب، - مع الأسف - نظرة مثالية طوباوية، (خيالية) ولربما يتصورونه نبياً معصوماً، أو ملكاً كريماً، أو على الأقل، صحابياً جليلاً تخلف عن الركب، فأظهره الله في آخر الزمان! فهل أنت كذلك أيها الإمام؟ كان الله في عونك، "إن الفرج مع الكرب، والنصر مع الصبر، وإن مع العسر يسراً"

أما عن علاقة الأئمة بالمجتمع الفرنسي: فإن ذلك يختلف من إمام إلى إمام، ومن منطقة إلى منطقة، فهناك الإمام المقرب، المرحب به في الدوائر الرسمية، والمحافل العلمية، تقديرا للهيئة التابع لها، أو لربما بفضل حنكته، وحكمته، وسعة علمه، وثمة من الأئمة الجدد، من ينظر إليه بشيء من الريبة، ويتعامل معه بنوع من التحفظ، ريثما يعرف أمره، ويسبر غوره. وهناك من هو منبوذ، أو مغضوب عليه، بسبب المسجد الذي يعمل فيه، أو التيار الذي ينتمي إليه، أو بسبب مواقفه المتشددة، أو تصريحاته المتهورة. أو فقط بسبب الأحكام المسبقة عليه، نتيجة التعبئة الإعلامية، والظروف الدولية، وتنامي الإسلاموفوبيا، والعنصرية! وبالجملة، فإن أكثر الأئمة نجاحا في التواصل مع المجتمع الفرنسي، هم الأئمة الناطقون بالفرنسية، المثقفون ثقافة غربية. وهنا تكمن أهمية تعلم اللسان اللاتيني، بالنسبة للإمام المقيم في الغرب. وما واجهني موقف مثل هذا، إلا وذكرت معاناة ودعاء موسى عليه السلام: (... واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي). فسأل الله تعالى أن يحل عقدة من ألسنتنا، حتى يفقهوا قولنا، أو أن يردنا إلى أوطاننا سالمين غانمين!

أما عن المستوى العلمي للأئمة: فاسمحوا لي هنا أن أستأنس بكلمة قالها أستاذ باحث كبير، في مؤتمر الأئمة في باريس: (إن نسبة عالية من أئمة فرنسا، يفتقدون إلى الثقافة الشرعية والاجتماعية والقانونية، التي تمكنهم من القيام بدور الإمام على أكمل وجه) اه ولعل الواقع يؤكد شهادة الأستاذ، فجل الأئمة، إن لم نقل الكل، لم يؤهلوا التأهيل الحقيقي للإمامة في الواقع الفرنسي، وذلك لأسباب متعددة، منها: غياب مراكز تكوين الأئمة في الفترات الأولى لظهور المساجد في فرنسا، وحاجة الناس يوم ذاك إلى من يصلي بهم، ويرعى شؤون دينهم، إلى أن ظهر المعهد الأوروبي لتكوين الأئمة، بشاتو شينو، فقدم المستطاع في هذا الشأن، وخرج أفواجا من المجازين والمجازات في القرآن وتجويده، والفقه وأصوله، كما تخرجت أفواج أخرى من معاهد في المشرق والمغرب، ولسنا هنا بصدد الحكم على هذه التجربة أو تلك، فذاك له مقامه ورجاله؛ ولكن الدراسة شيء والممارسة شيء آخر، (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) فالمعلومات النظرية، مهما كانت مهمة وضرورية، لا تصنع إماما، ولا مربيا، وإن الإمامة في فرنسا، بل في العالم كله، يرشح لها بحق، الفقيه بحق، لا من يحمل فقها، أو يستظهر نظاما. وبين الفقيه، وحامل الفقه، بعد ما بين السماء ذات الرجوع، والأرض ذات الصدع،! وإن المساجد في جملتها، تفتقر إلى الإمام المربي، لا إلى أستاذ التربية الدينية، والفرق بينهما كالفرق بين النائحة والثكلي!

والملاحظ أن تكوين الأئمة في فرنسا، غير متناسق ولا متكامل، فالحافظ الجود، عاجز عن الخطابة والوعظ، والخطيب الواعظ، غير فقيه بالواقع، والفقيه بالواقع، جاهل بالشرع، والكمال عزيز، والتكامل مطلوب، وفي الأئمة بفرنسا، العصامي الموسوعي، ولكنه -أعزكم الله- قليل الدين والنية، أوتي ذكاء، ولم يؤت زكاء. كما عبر أحد الفقهاء

أما عن الوضع المادي للأئمة في فرنسا: فليسوا سواء، فمنهم العامل الأجير، المتطوع بالإمامة والخطابة، ومنهم من يتقاضى راتباً محترماً من بلده الأصلي، كـبعض الأئمة المغاربة الموظفين مع الحكومة، والأئمة الجزائريين التابعين لمسجد باريس، (وعدددهم ثمانون إماماً) والأئمة الأتراك، التابعين لإدارة الشؤون الدينية التركية، ويقدر عددهم بسبعين إماماً، ويتمتعون بحقوق مادية واجتماعية ومعنوية، قد لا تتوفر لغيرهم. وبعض الأئمة في فرنسا، يتقاضى أجرته من الجمعية المكلفة بإدارة المسجد، ويعيش آخرون ببعض الصدقات والهبات، التي تمنح لهم في المناسبات، بينما يعيش عدد آخر من الأئمة بما يسمى في فرنسا **بالرعي**، أي: الدخل الأدنى للعيش، الذي بدونه يستحيل العيش!

والحاصل أنه باستثناء الأئمة الموظفين، لا نعلم أن إماماً في فرنسا، يتساوى كلياً أو نسبياً مع مأمومه، في باب الرواتب والحقوق المادية، ولعل هذا أحد أسباب انصراف عشرات من الأئمة الأكفاء عن الإمامة، والتحاقهم بأوراش البناء والحفر، أو بمهنة الوظيفة بأجر، أو بالعمل مع وكالات الأسفار، ونقل الحجيج إلى المطار، أو بيع اللحم الحلال في المجازر، تاركين وراءهم المحابر والمنابر لمن يشاء، كيف يشاء، متى شاء! وهذه ظاهرة خطيرة، لها ما بعده من عواقب، أفلها تزهيد الجيل الصاعد في العلم والإمامة. **(والله غالب على أمره) (وإلى الله تصير الأمور).**

ختاماً أيها السادة الكرام، إن ما ذكرناه ههنا، لم يكن أكثر من محاولة متواضعة، لرصد واقع عام، يشهده الأئمة في فرنسا، ولا يعني هذا ألبتة، أننا يائسون من إصلاح الوضع، أو أننا ننحى باللائمة فقط على المأمومين وأهل الجمعيات والمساجد، فالأمر أعقد وأعمق مما قد نتصور، وأسباب السقوط والنهوض في هذه الأمة كثيرة ومتنوعة، لا تخفى على النبهاء أمثالكم. وإذا كنا قد التمسنا بعض الأعذار للأئمة، من باب العدل والإنصاف، وألحنا بأن فريقاً منهم دخل الميدان مضطراً، فإن الشيء نفسه ينبغي أن يقال، فيما يخص رجال الجمعيات الدينية، - سواء بسواء- ومن العدل والوفاء أيضاً، أن نعترف لهم بالفضل والجميل، ونتجاوز عن هفواتهم، فلقد قدموا - جزاهم الله - ما استطاعوا، رغم ظروف الغربة، وشح الموارد، وقلة المساعد والمعين، والمجتهد ماجور على كل حال، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح الحال والمآل، **وأن لا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا.**

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك. والحمد لله رب العالمين.

2007/05/18 م.

